رسالة الشعر

دمشق

للدكتور عبد الوهاب عزام

يا أخي صاحب الرسالة : هذه أبيات نظمتها في إحدى زياراتي لدمشق العظيمة وطويتها . ثم رأيت أن موضوعها ينفع لما فيها من قصور فأرسلتها إليك لترى رأيك في طيها أو نشرها

هذي دمشق نخل القلب مختار ... طالت على القلب أشواق وأسفار
كم ما طلتك بها الأيام أمنية ... لها على الدهر إعلان وإسرار
حط الرحال فهذا جيرة بَرَدى ... وذي دمشق هناك الأهل والدار
لا تعجلي فالأيام مسعدة ... لا تخدعي فصرف الدهر غدار
دعني أؤلف آمالا مشتتة ... وأسمع القلب . ملء القلب أسرار
دعني أزود قلبي ملء مُنيته ... في فؤادي أسفار وأخطار

* * *

وردت جلق ملتاعاً ومغتبطاً ... تطفى بنفسي آمال وأفكار
دمشق مجتمع الأعصار قد زخرت ... فيها كما اندفقت في البحر أنهار
خطت أمامي سراعاً فوق رقعتها ... من الوقائع أسطار فأسطار
فكل رجل على التاريخ سائرة ... وكل طرف إلى التاريخ نظار
وللأذان دوي فوق أربعها ... وللأذان ببطن الأرض إسرار
يذيع قبر بلال[1] في مآذنها ... صوتاً له من وراء الغيب تسيار
كالنبع شق الصفا والترب فازدهرت ... منه الخمائل ، وهو الدهر ثرار

* * *

ذهبت للمسجد المعمور[2] أسأله ... وقد تدل على الاعيان آثار
رأيت فيه خلال القوم ماثلة ... وللبناء من البانين أقدار
علوت في قمة التاريخ مأذنة[3] ... لها من الحق والتاريخ أحجار
تطوف حولي خطوب الدهر في صخب ... وترحم العين دولات وأقطار
أرى الوليد على ملك لسطوته ... ذل الزمان ، وفيه المجد خطار
دانت لهيبته الاهوال واجتمعت ... في همة المُرب أقطار وأعصار
كأن ما بين سيحون وقرطبة ... على الخريطة أفنار وأشبار

* * *

أحييت دمشق رميم الشعر في خلدي ... لاغرو قد تبعث الأشعار أشعار
وقفت فيها أسيم الطرف في فتن ... من الجمال لديها الطرف يحتار
كلا فؤادي وطرفي فوق بهجتها ... بين الحضيض وبين السفح طيار
تندى القلوب وتجوى من نضارتها ... ورب أخضر منه تقدح النار
واها لقلبي إن يبد الجمال له ... سطراً تبدت من الآلام أسفار
خاض المطامع ، طماح المنى عرم ... على الشدائد والسراء نوار .
وقاسيون على الجنات مطلع ... بين الرياض وبين الشهب نظار
عارى المناكب بالشجراء متزر ... ثبت الجنان على الأحداث ، جبار
نسر يرى اللوح منه هامة عطلا ... لكنه ذنب الطاووس جرار
والصالحية حيا الله ساكنها ... وحيّ في سعدها دار ودينار
شجا فؤادي دروس في تدارسها ... والدهر بالناس دولات وأدوار
يادار هذا زمان السعد فابتسمي ... لافاتك السعد بعد اليوم يادار :

* * *

وقفت بالغوطة الخضراء أنشدها ... قلباً أضلته أفياء وأشجار
هفا كما انطلق العصفور من قفص ... دعته في الروض أطيار وأزهار
قالت : رأيت دمشقاً في مفاتنها ... فكيف ينجو فؤاد فيك شمار ؟
فسل دمشق هناك الروض مزدهر ... والجو متسم والحسن سحار
قالت دمشق : وما عندي به خبر ... سائل بدمر لايخدعك إنكار .
يادمر الخير قلبي فيك مرتهن ... لاتجحديه فما يجديك إصرار ؟
ردي فؤادي فني دهري له عِدَة ... وفي فؤادي لأرض العرب أوطار
فقد وردتك يوماً في حمى نفر ... من القطاريف فيهم يأمن الجار
كأنما كل حر في عزيمته ... نجم يضيء على الأهوال سيار
وكان مجلسنا أيكاً على بردى ... تردد الحسن فيه فهو مختار
نرجي الأحاديث من شكوى ومن ألم ... ومن أمانٍ ذوت فيهن أعمار
نبني على أسس التاريخ آتيتنا ... وللمعالي من التاريخ أسوار
ونشهد المجد تدعوه عزائمنا ... والمجد مُصغٍ إذا ناداه أحرار
إما أرى المجد قد أضفى أشعته ... وأشرقت فيه دولات وأمصار
أبصرت في الظلمات الشمس طالعة ... لما تراءى لنجم الصبح إسفار

(١) بلال بن رباح مؤذن رسول الله . وقبره في دمشق (٢) مسجد جامع بني أمية بدمشق (٣) مأذنة الجامع الأموي صعدت فيها مع بعض الأصحاب

مختارات من أدب الرافعي

بَأَى يا بَابَا !

« في سنة ١٩٠٤ تزوج المرحوم مصطفى صادق الرافعي ، وفي سنة ١٩٠٥ ولدت له (وهيبة) ، فلما صارت بنت سنتين جلس إليها يوماً يناغيها ويداعبها ، وحب الرافعي لأولاده شيء أكثر من محبة الآباء ، فمال عليها يقبلها، فآلمها ، فقالت له الطفلة ، وقال لها ، فكانت هذه القصة في هذه القصيدة »

محمد سعيد العريان

طفلتي في العمر مرّتْ ... من سنيها اثنتين
ليستا فيما غدتْ تعـ ... ـقل إلا ضحكتين
جئتُها يوماً فألقيـ ... ـتُ عليها قُبلتين
وأمالتْ عُنُقاً آ ... لمتهُ من غمزتين
فمضتْ غضبى وقالت : ... «بأَيْ يا بابا بأيْ يا بابا»

* * *

إعتـاباً يا ابنتي أمْ ... ذاكِ من غيظ الحبيبهْ ؟
بدأتْ دنياكِ منذُ الـ ... ـيوم والدنيا عجيبهْ . . !
وغريب منك أن تدْ ... رِي معانيها الغريبه ...
نجمةٌ أبعدُ ما تلْـ ... ـقى إذا لاحتْ قريبه
مثلُها حُبُّك للبا ... با ومعنى « بأيْ يا بابا»[1]

* * *

نَغمةٌ كالبلبل استعـ ... ـلى على الورد فغنّى
أتمنّى أن تعيدي ... مثلها إذ أتمنى
قد غدا يُذهبُ في الدُّنـ ... ـيا المنى لفظُكِ عنّا
وأرى الشعرَ فنوناً ... صرتِ لي منهنّ فنّا
حكمةٌ ما مثلُها الحِكـ ... ـمةُ عندي « بأي يا بابا »

* * *

لو أتتني كلُّ بُشرى ... ملءَ أنحاء البلادِ
أو أتاني السعدُ يوماً ... هاتفاً باسمي يُنادي
أو سعى بالمدحِ والتمـ ... ـجيدِ لي كلُّ العبادِ
أو شدا في كلِّ أرضٍ ... بقريضي كلُّ شادِ
لم يكن أحلى بسمعي ... كلُّ ذا من «بأي يا بابا »

سنة ١٩٠٧ — مصطفى صادق الرافعي

(١) يراد بكلمة « باي » عند العامة ، وأحياناً ينطقونها « بابا » التكره ومعنى النفرة ؛ فان أصلها . يا أباه ، من نداء الاستغاثة ؛ فهذا المعنى الذي يظهر قريباً من اللفظة هو أبعد من حب البنت لأبيها من النجمة التي تلوح قريبة وهي ماهي في بعدها . الرافعي

بين الجد والمجون

فجيعة في ساعة

وساعةٍ كالسِّوارِ حولَ يدي ... ضاعت فآوهي ضَياعُها جَلَدي
مازال يطوي الزمانَ عقربُها ... حتى طواها الزمانُ للأبدِ
ضيَّعها نجلي الصغيرُ وكم ... حمَّلني من خَسارةٍ ولَدي
قالوا : فداه لهُ فقلتُ لهم : ... كلاهما فلذتان من كَبدي
قالوا : التمس غيرَها . فقلتُ لهم: ... وهَلْ معي ما يُقيمُ لي أَوَدي ؟
مَنْ مُسعدي إنْ أكُن على سفرٍ ؟ ... ومَنْ يفي لي بالوعد إنْ أعِد ؟
إلتبستْ أيَّامي عَلَيَّ فلا ... أفرقُ ما بين السبتِ والأحدِ
واختلَّ وقتي فإنْ وعدْتُكَ أنْ ... أزورَك اليومَ جئتُ بعد غدِ
كم رُمْتَ عدَّ الساعاتِ مُهتدياً ... بالشمس لكنْ غلطْتُ في العددِ
روَّضْتُ نفسي على السُّؤالِ وما ... حَمَلتُ ذلَّ السؤالِ من أحَدِ
جَهْلُ الفتى بالزمانِ أهونُ مِنْ ... سُؤالِ غيرِ المهيَّنِ الصَّمَدِ
أمست يدي بعدها مُعطَّلةً ... منظرُها في العيونِ كالرَّمَدِ
فَمَنْ لِعَيْني بِحُسْنِ طَلْعَتِها ؟ ... ومَنْ لأُذني بصوتِها الفَرِدِ ؟
كم آنستْ وحشتي بِدَقَّتِها ... فالآنَ أصبحْتُ شِبْهَ مُنفَرِدِ
لاغرْوَ إنْ أقضِ حقَّ عِشْرَتِها ... عِشْرَتُها لي طويلةُ الأمَدِ
قد لازمَتْ مِعْصَمِيَ سنين إلى ... أنْ أصبحت قِطْعةً من الجسدِ
ناطقةً بالصواب أن سُئِلَتْ ... إنْ قُلْتَ كَمْ لَمْ تَنقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
على الصراطِ السَّوِيِّ سائرةٌ ... إنْ حادت الشمسُ عنهُ لم تَحِدِ
أرْنو إليها إذا مَشَيْتُ وإنْ ... جَلَسْتُ في مجلسٍ كَشَفْتُ يَدي
ألم تُشاهِدْ ذا نعمةٍ حَدَثَتْ ... إذا مَشَى في ثيابِهِ الجُدُدِ ؟
صَبَرْتُ صَبْرَ الكرامِ آمُلُ أنْ ... تَعُود لي ثانياً فَلَمْ تَعُدِ
فُلْتُ بالأولياء عَلَّ لهم ... سِرًّا وإن كنتُ غير مُعْتقِدِ
مَنْ لي بالعرَّافينَ أسألهم ... عنها وبالنفَّاثات في العُقَدِ
أسأتُ بالأصدقاء كُلِّهِمِ ... ظَنّي فقتَّشْتُهُمْ فلم أجِدِ
شَتَّان بيني وبينَ لاقِطِها ... بات قريراً وبتُّ في كَمَدِ
ليت الذي طُوِّقت بها يَدُهُ ... في جيدِهِ حَبْلٌ شُدَّ مِنْ مَسَدِ

محمود غنيم